IUG Journal of Natural and Engineering Studies Vol 23, No 1, 2015, pp a1-a19, ISSN 2409-4587
Peer-reviewed Journal of Islamic University-Gaza IUGNES

واقع المساجد الأثرية في مدينة غزة ومشاكل الحفاظ عليها

أحمد سلامة محيسن[1،*]

[1]قسم الهندسة المعمارية، كلية الهندسة، الجامعة الإسلامية، قطاع غزة، فلسطين

تاريخ الإرسال (2014/4/3)، تاريخ قبول النشر (2014/5/27)

ملخص

يعود تاريخ بناء معظم المساجد الأثرية بمدينة غزة القديمة، والتي يبلغ عدد ما تبقى منها حوالي 13 مسجداً، إلى الفترتين المملوكية والعثمانية من تاريخ غزة. ورغم أهمية هذه المساجد، إلا أن كثيراً منها يعاني من بعض الممارسات السلبية، والتي تم حصرها في هذا البحث في كل من الإهمال والتدخلات الخاطئة للحفاظ عليها. وينتج عن هذه الممارسات الكثير من المشاكل المعمارية والفنية التي تُسيء للمساجد الأثرية، وتُلحق بها الكثير من الإضرار، والتي تُنذر في بعض الحالات بفقدها لأهميتها الحضارية والرمزية العالية لدى المسلمين. وبناءً عليه، سيتم التطرق في هذا البحث لواقع المساجد الأثرية بغزة، ويشمل ذلك حصرها مع استعراض لأهم ما تعانيه من مشاكل معمارية وفنية. ويتناول البحث مسجدي الشيخ زكريا والشيخ خالد بالدراسة والتحليل كحالات دراسية تعرض لأهم المشاكل التي تواجه هذا النوع من المساجد بغزة، حيث يُعاني الأول منهما من الإهمال وقلة الصيانة لفترة طويلة من الزمن، فيما يعاني الآخر من فقد لكثير من سماته التراثية، علاوة على بعض المشاكل الفنية، بسبب ما طرأ عليه مؤخراً من توسعة وأعمال ترميم لم تأخذ بالاعتبار أهميته التاريخية وخصوصيته المعمارية. ويعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي في عرض وتحليل المشكلة ومن ثم وضع بعض المقترحات للحل، وذلك بناءً على ما هو متوفر من معلومات، بالإضافة إلى الزيارات الميدانية التي قام بها الباحث للحالات الدراسية ولجميع المساجد الأثرية بغزة لمعاينتها والوقوف على ما تعانيه من مشاكل. وتخلص الدراسة إلى ضرورة وضع خطة شاملة تشارك فيها جميع المؤسسات المعنية للحفاظ على المساجد الأثرية بغزة، ووقف ما تتعرض له من ممارسات سلبية.

كلمات مفتاحية: المساجد الأثرية، العمارة الإسلامية، التراث المعماري، الحفاظ المعماري.

The Reality of Historical Mosques in Gaza City and the Problems of Preservation

Abstract

Most of the remaining historical mosques, which are about 13 mosques, refer to the Mamluk and Ottoman periods of Gaza history. Despite the importance of these mosques, many of them suffer from some negative practices, which were classed in this research, in both negligence and wrong interventions for conservation. These practices result in, many architectural and technical problems that are offensive, cause a considerable damage to the historical mosques, and in some cases,

*البريد الالكتروني للباحث المرسل: amuhaisen@iugaza.edu.ps

threaten losing their cultural importance and high symbolic value among Muslims. Accordingly, this research addresses the reality of historical mosques in Gaza, with special focus on the most important architectural and technical problems that they have been suffering from. The paper studies the mosques of Sheikh Zakaria and Sheikh Khalid as two case studies presenting the most important problems facing this type of mosques in Gaza. The first of them suffers from negligence and lack of maintenance for a long period of time, while the other one suffers from losing many of its historical characteristics, as well as some technical problems. This is due to what occurred recently of expansion and renovation works that did not take into account its historical importance and architectural uniqueness. The research uses descriptive and analytical methods to present and analyze the problem and then suggest some proposed solutions. This is based on available literature, in addition to field visits conducted by the researcher to the case studies and to all historical mosques in Gaza with the aim of previewing them and highlighting their problems. The study concludes that there is an urgent need to develop a comprehensive plan, involving all relevant institutions to maintain the historical mosques in Gaza, and stop their deterioration due to negative practices.

Keywords Historical mosques, Islamic architecture, Architectural heritage, Architectural conservation.

1. المقدمة

تعتبر المساجد من أهم العمائر الإسلامية التي تعكس وحدة المسلمين، وترابطهم، واتصالهم بالخالق عز وجل من خلال العبادات والشعائر الدينية التي تقام فيها، وهي كذلك رمز للطهارة والنقاء والبعد عن زخرف الحياة الدنيا الزائل، والمصالح الشخصية الضيقة. ويستدل على ذلك من حرص النبي صلى الله عليه وسلم عند نزوله واستقراره بالمدينة المنورة على بناء المسجد، ليجمع المسلمين، ويكون بمثابة مركز الإشعاع الديني والثقافي والحضاري للمجتمع. وقد كان المسجد في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مكاناً للصلاة، والاجتماع، واستقبال الوفود، ومداواة الجرحى، والاستعداد للقتال وغيرها من أمور المسلمين، وهو ما يؤكد، بما لا يدع مجالاً للشك، أن دور المسجد في المجتمع الإسلامي يتعدى بكثير أداء الصلوات المفروضة وبعض الشعائر الدينية فقط ليشمل كافة مناحي الحياة.

وبناءً عليه، فقد حرص المسلمون الفاتحون على بناء المساجد في كل مدينة يدخلونها لنشر الإسلام، ولتعليم الناس أمور دينهم، وإبراز الوجه المشرق للدين والحضارة الإسلامية. وهذا ما حدث عند فتح فلسطين على يد عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وانتشار الدين الإسلامي فيها، حيث حرص المسلمون على إنشاء مسجد جامع في وسط كل مدينة يفتحونها ويسمونه بالجامع العمري الكبير نسبة إلى عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، كما حدث في مدن مثل القدس، واللد، وبيسان ويافا، وغزة وغيرها [1]. واستمر بناء المساجد في العهود الإسلامية المتعاقبة التي تلت فترة الخلافة الإسلامية في المدن الفلسطينية مع زيادة عدد المسلمين والتوسع العمراني للمدن.

وكما هو معلوم، فان المساجد ليست ملكا شخصياً لأحد، وإنما ملكاً عاماً لكافة المسلمين، وهي بيوت الله، وأطهر البقاع في الأرض، وهو ما يمنحها قدسيةً عاليةً وقيمةً روحية في نفوس المسلمين. وإلى جانب ذلك، فإن للمساجد أيضاً قيمة معمارية وجمالية تتمثل في تصميمها، وعناصرها المعمارية، والتي حافظت عليها منذ العهد الإسلامي الأول إلى الوقت الحاضر. ورغم التطور في تصميم المساجد مقارنةً بالمسجد النبوي الذي بناه الرسول عليه الصلاة والسلام، والذي كان مربع الشكل ومبنياً من الطين وجذوع النخل [2]، إلا أن عناصره الأساسية، والتي تتمثل في بيت الصلاة والمنبر والمداخل، بقيت كما هي، وأضيف إليها بعض العناصر الرمزية كالمحراب، والمئذنة، والقباب واستخدم فيها مواد البناء الحديثة والمتوفرة.

وقد انتشر بناء المساجد في مدينة غزة القديمة كغيرها من المدن الإسلامية، وخاصة في العهد المملوكي ومن ثم العثماني. ويشير في هذا السياق سليم المبيض (1995) [1]، إلى وجود العديد من المساجد الأثرية في مدينة غزة خلال العهود السابقة، حيث بلغ عددها، حسب كثير من الشواهد والحجارة التأسيسية التي وجدت متناثرة في أماكن متفرقة، حوالي سبعون مسجداً، غير المزارات المختلفة [1]. وللأسف الشديد لم يتبق من تلك المساجد محتفظاً بوظيفته، وبجزءٍ ولو يسير من مبناه الأثري، إلا القليل الذي لا يتجاوز 13 مسجداً. ورغم أهمية المساجد الأثرية المتبقية، إلا أن بعضها يتعرض للإهمال، وبعضها الآخر للتدخلات الخاطئة للحفاظ عليها، وهو ما يُهدد بقاءها كرموز معمارية تراثية تعبر عن الحضارة والعمق الإسلامي بغزة.

وقد تناولت بعض الكتب والدراسات السابقة دراسة المساجد الأثرية في غزة، ومنها مثلاً كتاب البنايات الإسلامية في غزة لسليم المبيض (1995) [1]، وكذلك المساجد الأثرية في مدينة غزة لعبد اللطيف أبو هاشم (1999) [3]، بالإضافة إلى مراجع تاريخية أخرى اعتمد عليها كلا الباحثان مثل إتحاف الأعزة في تاريخ غزة للشيخ عثمان الطباع (1882–1950) [4]، وغيرها. وقد ركزت تلك الكتب على وصف تلك المساجد من ناحية معمارية، بالإضافة إلى الوقوف على جانب من تاريخها والأحداث التي ارتبطت بها وبمن قام ببنائها. ورغم أهمية تلك الدراسات والمراجع التي توفر قاعدة بيانات ومعلومات مهمة وأساسية لكل باحث في هذا المجال، إلا أنها لم تتطرق للمشاكل التي كانت وما زالت تعاني منها تلك المساجد من إهمال وحاجة إلى ترميم وصيانة، ووقف التدخلات الخاطئة التي يقوم بها القائمون على إدارتها، غالباً بحسن نية، للحفاظ عليها. وينطبق ذلك أيضاً على بعض الأبحاث مثل ما قام به شحادة (2012) [2]، من تحديد لمجالات خدمة تلك المساجد وتقدير مدى كفايتها لخدمة السكان في المناطق المجاورة دون التطرق لواقعها العمراني.

وبناءً عليه، فإن هذا البحث سيتطرق إلى دراسة واقع المساجد الأثرية بغزة والمشاكل التي تتعرض لها، وذلك من خلال دراسة ميدانية قام من خلالها الباحث بزيارة تلك المساجد الأثرية ومعاينة حالتها، بالإضافة إلى مقابلة بعض من القائمين عليها للوقوف على مزيد من المعلومات المتعلقة بها. وكنماذج للمساجد الأثرية التي تتعرض للإهمال وسوء التعامل، يستعرض البحث أيضاً بنوع من التفصيل حالتين دراسيتين وهما مسجد الشيخ زكريا ومسجد الشيخ خالد بحي الدرج بمدينة غزة، واللذان رغم أهميتهما تعرض الأول منهما، وما يزال، للإهمال، فيما تعرض الآخر للتدخل بطريقة غير ملائمة للحفاظ عليه.

وتهدف الدراسة إلى تسليط الضوء على تلك المساجد وما تتعرض له من أخطار، وبالتالي المساهمة في وضع بعض الحلول والتوصيات للحفاظ عليها بطريقة ملائمة تضمن بقاءها محتفظة بسماتها وطابعها التراثي، وعدم الإضرار بها. وتخلص الدراسة إلى ضرورة وضع خطة عامة واستراتيجية واضحة للحفاظ على المساجد الأثرية بطريقة علمية سليمة تأخذ بالاعتبار أهمية تلك المساجد، وطبيعتها الأثرية التي تحتاج إلى عناية خاصة عند التعامل معها.

2. نبذة حول مدينة غزة

تعتبر مدينة غزة من أقدم المدن في العالم حيث يرجع تاريخ إنشائها إلى حوالي 3000 عام قبل الميلاد. وقد تعاقب عليها العديد من الحضارات بدءً بالكنعانية ومروراً بالإغريقية، ومن ثم الرومانية، وانتهاءً بالحضارة الإسلامية وما شملته من حقب متعاقبة كان آخرها الحقبة العثمانية.

وقد كان لهذا التنوع الحضاري الأثر الواضح على تشكيل الملامح العمرانية لمدينة غزة، والتي تطورت على مدى التاريخ مستفيدةً من خصائص كل حقبة تاريخيه مرت عليها. وتتميز مدينة غزة بموقعها الجغرافي المتوسط ما بين قارتي آسيا وإفريقيا، وهو ما جعلها مركزاً تجارياً وممراً للقوافل التجارية ما بين مصر والشام. وقد أدي ذلك إلى نمو المدينة

اقتصادياً وثقافياً وظهور العديد من الأبنية والمرافق لخدمة التجار والمسافرين (شكل1) [6].

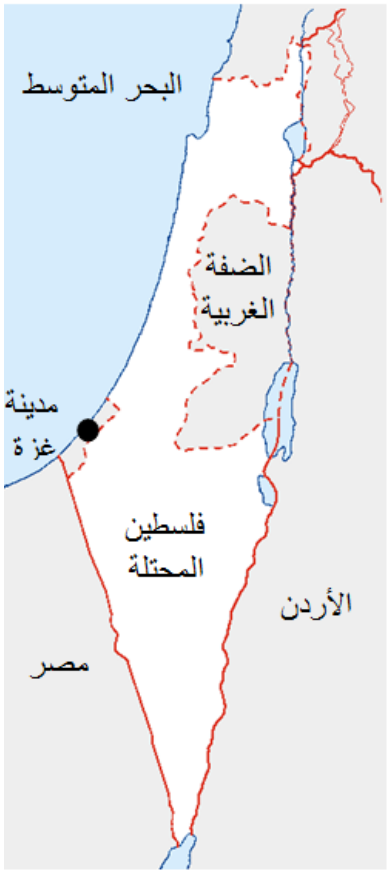

شكل1: *موقع قطاع غزة*
المصدر: [5]

وما زالت مدينة غزة، وإلى الوقت الحاضر، تضم العديد من المواقع والمباني الأثرية، والتي تعود لحقب تاريخية متعددة، وخاصة الإسلامية منها، وتشمل هذه المباني المساجد والأسواق والمباني العامة والمباني السكنيةً وغيرها. وهي تعتبر من أهم الشواهد على التاريخ والحضارة الإسلامية التي سادت منذ الفتح الإسلامي لمدينة غزة في عهد عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) سنة 634م وحتى نهاية الدولة العثمانية في فلسطين سنة 1917 [7]. وتتبع تلك الأهمية من قيمتها المعمارية العالية كمباني ذات طابع مميز، وعناصر معمارية ما زالت تحتفظ بجمالها ورونقها رغم تقدم السنين.

3. المساجد الأثرية في مدينة غزة وأهمية الحفاظ عليها

رغم أهمية المباني والمواقع الأثرية المنتشرة في غزة، إلا أن المساجد الأثرية تعتبر الأهم من ناحية دينية ومعمارية للمسلمين. وتتبع تلك الأهمية من قيمتها الدينية كأماكن للعبادة، ولأداء كثيراً من الشعائر الدينية التي يجتمع فيها المسلمون. وهي بيوت الله في الأرض وأطهر البقاع فيها، ورمزاً لوحدة المسلمين، واجتماع كلمتهم، وتوجههم نحو خالقهم عز وجل. وإلى جانب ذلك، تتميز المساجد الأثرية أيضاً باحتفاظها بوظيفتها كأماكن للعبادة منذ إنشائها وحتى اللحظة، بالإضافة إلى احتفاظها بعناصرها المعمارية الأساسية، وهو ما يُضيف لها قيمة تاريخية كبيرة، ويجعلها بذلك ترتقي على أي نوع آخر من المباني على اختلاف أنواعها.

تتبع المساجد الأثرية من ناحية إدارية، كغيرها من المساجد بغزة، لوزارة الأوقاف والشئون الدينية التي تقوم على رعايتها وتوفير ما يلزم لقيامها بأداء دورها الديني، بالإضافة إلى الإشراف على أعمال الترميم والصيانة التي تُجرى لها، والتي تقوم إما بتمويلها، أو المساعدة في إيجاد ذلك التمويل من جهات متبرعة. وبسبب نقص التمويل في كثير من الأحيان، تقوم اللجان القائمة على إدارة المساجد بجمع التبرعات من المصلين، أو تلقي بعض الهبات من المحسنين لصيانة المساجد، أو إجراء توسعة لها.

وللوقوف على واقع المساجد الأثرية بغزة وما تعانيه من مشاكل، قام الباحث بدراسة ميدانية لجميع تلك المساجد، والتي بلغ عددها 13 مسجداً، شملت زيارتها والصلاة فيها، ومقابلة القائمين عليها (إما الإمام، أو المؤذن، أو احد القائمين عليها) للوقوف على جزء من تاريخها وبعض المشاكل المعمارية التي تعاني منها. وفيما يلي نتائج المسح الميداني وتحليل لما تم التوصل إليه.

1.3 تحديد المساجد الأثرية في مدينة غزة

رغم تعداد كل من سليم المبيض (1995) [1]، وعبد اللطيف أبو هاشم (1999) [3]، لحوالي سبعين مسجداً وجامعاً كان موجوداً في غزة حسب المصادر التاريخية والشواهد المعمارية، إلا أن هذا العدد لم يعد قائماً في الوقت الحاضر، حيث أن كثيراً منها هُدم واندثر منذ زمن طويل. ولغرض تسهيل تحديد وحصر ما تبقى من مساجد أثرية بهدف إجراء هذه الدراسة، فقد اجتهد الباحث في وضع تعريف للمسجد الأثري على أنه "**المسجد الذي بُني قبل سقوط الخلافة العثمانية سنة 1917 في فلسطين، وما زال يستخدم كمسجد، ويحتفظ بمبناه الأثري، أو بجزء منه**".

ويشمل التعريف السابق ثلاثة شروط أساسية يجب توفرها جميعاً في المسجد لاعتبار أنه أثري، وهي العمر الزمني المرتبط بتاريخ الإنشاء، والذي تم تحديده بحيث لا يزيد عن 1917، والحفاظ على وظيفة المبنى كمسجد للعبادة، وأخيراً وجود البناء الأثري للمسجد، أو جزءً منه ماثلاً للعيان. وبناءً عليه، تم تحديد المساجد التي تنطبق عليها الشروط السابقة، وكان عددها 13 مسجداً في مدينة غزة، من ثم تم تصنيفها حسب أحياء المدينة القديمة، وتحديد الحقبة التاريخية التي تعود لها كما هو موضح في جدول (1)، ويوضح (شكل 2) مخطط لموقع تلك المساجد في مدينة غزة، فيما توضح الأشكال من (3) إلى (15) صوراً لتلك المساجد.

جدول (1) *توزيع المساجد الأثرية بغزة على أحياء المدينة القديمة*

	الحي	المسجد	الحقبة	(تاريخ التأسيس (م
1	حي الدرج	المسجد العمري الكبير	الخلافة الراشدة	القرن السابع
		مسجد الشيخ زكريا	مملوكي	القرن الرابع عشر
		مسجد الشيخ خالد	مملوكي	القرن الرابع عشر
		مسجد السيد هاشم	عثماني	القرن التاسع عشر
		مسجد محمد المغربي	مملوكي	غير معروف
2	حي الزيتون	مسجد الشيخ علي العجمي	مملوكي	غير معروف
		مسجد كاتب ولاية	عثماني	القرن السادس عشر
		مسجد عثمان قشقار	عثماني	غير معروف
3	حي الشجاعية	مسجد بن عثمان	مملوكي	القرن الخامس عشر
		مسجد المحكمة	مملوكي	القرن الخامس عشر
		مسجد القزدمري	مملوكي	القرن الرابع عشر
		مسجد السيدة رقية	عثماني	غير معروف
4	حي التفاح	مسجد علي بن مروان	مملوكي	القرن الرابع عشر

المصدر: *الحقبة التاريخية وتاريخ التأسيس* [1].

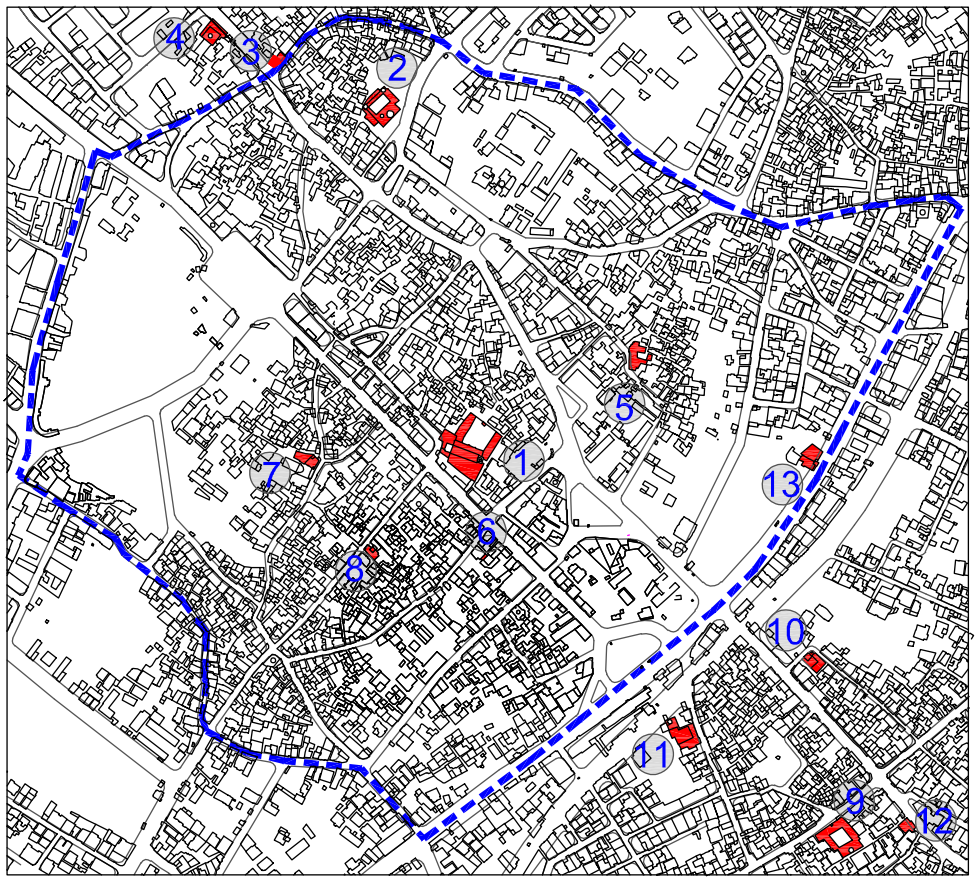

شكل 2: *مخطط لموقع المساجد الأثرية في مدينة غزة.* **المصدر**: [8] *بتصرف*

المفتاح:

1- المسجد العمري 2- مسجد السيد هاشم 3- مسجد الشيخ خالد 4- مسجد الشيخ زكريا 5- مسجد محمد المغربي 6- مسجد علي العجمي 7- مسجد كاتب ولاية 8- مسجد عثمان قشقار 9- مسجد بن عثمان 10- مسجد المحكمة 11- مسجد القزدمري 12- مسجد السيدة رقية 13- مسجد علي بن مروان

--- حدود البلدة القديمة بمدينة غزة

شكل 3: *المسجد العمري*

شكل 4: *مسجد السيد هاشم*

شكل 5: مسجد *الشيخ خالد*

شكل 9: مسجد *كاتب ولاية*

شكل 6: مسجد *الشيخ زكريا*

شكل 10: مسجد *عثمان قشقار*

شكل 7: مسجد *محمد المغربي*

شكل 11: مسجد *بن عثمان*

شكل 8: مسجد *علي العجمي*

شكل 12: مسجد *المحكمة*

شكل 13: مسجد *القزدمري*

شكل 14: مسجد *السيدة رقية*

شكل 15: مسجد *علي بن مروان*

المصدر: *الأشكال (من 3 إلى 15) الباحث*

يُلاحظ من قائمة المساجد السابقة أنه استثني منها جميع المساجد التي بنيت بعد سقوط الخلافة الإسلامية وهي كثيرة، وكذلك جميع المساجد الأثرية التي اندثرت ولم يعد لها أثر، رغم ورودها في كثير من المراجع والكتب التي تناولت المساجد الأثرية، ومن أمثلة تلك المساجد: مسجد الشمعة، ومسجد الأيبكي، ومسجد محمد العجمي، ومسجد الوزير وغيرها، والتي اندثرت جميعها ولم يعد لها أثر، وبُني مكانها مساجد حديثة. وقد كان آخر تلك المساجد التي كانت إلى وقت قريب جداً تُعد من المساجد الأثرية، مسجد السيد علي المغربي بحي الشجاعية، إلا انه، وللأسف، لم يعد كذلك بعد تعرض مبناه الأثري للهدم والإزالة سنة 2003 لبناء مبنى حديث مكانه بغرض التوسعة. وكذلك استثني من القائمة مباني المساجد الأثرية التي تحولت وظيفتها إلى وظيفة أخرى غير العبادة، مثل مسجد القلعة أو مسجد دار السعادة (المقابل لقصر الباشا)، والذي تحول إلى مقر لإدارة تحفيظ القران التابعة لوزارة الأوقاف بغزة، ولم تعد تقام فيه الصلوات الخمسة.

ويُعتبر المسجد العمري بغزة أهم وأبرز المساجد الأثرية وأقدمها، حيث يعود تاريخ تأسيسه الأول كمسجد إلى عهد عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، والذي يُنسب إليه المسجد في تسميته. وقد تعرض للهدم والتدمير ومن ثم إعادة الإنشاء أكثر من مرة، إلا أن البناء الحالي للمسجد يعود في معظمه إلى الحقبة المملوكية والعثمانية. وما يُميزه، بالإضافة إلى تاريخه الطويل، هو احتفاظه بكافة عناصره المعمارية والزخرفية الأثرية دون إضافات أو تعديات حديثة ملحوظة تُشوهه، أو تُخفي من سماته التراثية. ومن المساجد التي اندثر مبناها الأثري، ولم يتبق منها إلا جزء يسير، مسجد الشيخ زكريا، والذي اندثر مبناه الأصلي، ولم يتبق منه إلا مئذنته شاهدة عليه وعلى ما تتعرض له المساجد الأثرية من إهمال، ومن تدخلات خاطئة تكون نتيجتها هدم لتلك المساجد أو إخفاء لمعالمها التاريخية.

2.3 الحالة المعمارية للمساجد الأثرية

تم من خلال الدراسة الميدانية الوقوف على الحالة المعمارية للمساجد الأثرية، والتي شملت مدى احتفاظ المسجد بمبناه الأصلي، والإضافات الحديثة التي أضيفت عليه، ومدى تأثيرها على احتفاظه بسماته التراثية. وقد لوحظ أن بعض تلك المساجد تم ترميمه حديثاً بطريقة علمية مناسبة تضمن الحفاظ عليه، دون إضافات تشوهه أو تخفي معالمه الأثرية، مثل المسجد العمري، ومسجد السيد هاشم، ومسجد كاتب ولاية. وهناك مساجد أخرى مازالت تحتفظ بطابعها المعماري الأثري دون تشوهات كبيرة، إلا انه لم يتم

ترميمها منذ زمن طويل، مثل مسجد بن عثمان، ومسجد علي بن مروان. كما تم هدم بعض المساجد الأخرى، وللأسف، منذ زمن طويل، ولم يتبق من بعضها إلا جزء يسير مثل مسجد الشيخ زكريا، الذي لم يعد قائماً منه إلا مئذنته. وقد أدت محاولة الحفاظ على بعض المساجد الأخرى أو توسعتها إلى طمس لمعالمها وسماتها التراثية، علاوة على تغيير في تصميمها المعماري نتيجة الإضافات الحديثة التي لا تتناسب في شكلها ومواد بنائها مع الطابع المعماري لتلك المساجد، مثل مسجد الشيخ خالد، ومسجد عثمان قشقار، ومسجد علي المغربي وغيرها. ويوضح جدول (2) الحالة المعمارية للمساجد الأثرية، والتي تم تصنيفها إلى مجموعات بناءً على حالتها المعمارية والتدخلات التي أُجريت عليها.

جدول (2) *الحالة المعمارية للمساجد الأثرية بغزة*

	المساجد	الحالة المعمارية	وصف الحالة
1	– المسجد العمري – مسجد السيد هاشم – مسجد كاتب ولاية	ممتازة، تم ترميمها حديثا	تم ترميم هذه المساجد في السنوات العشر الماضية بطريقة علمية ملائمة، وعلى أيدي فنيين وعمال مهرة [9]، مع الحفاظ على عناصر التصميم والطابع المعماري والسمات التراثية لمبانيها دون تشوه أو إخفاء لمعالمها. كما أن المباني والإضافات الحديثة لبعضها، والتي اقتضتها ضرورات الترميم أو التوسعة لبعض أجزائها، لم تؤثر على الطابع التاريخي أو وظيفة المسجد، حيث تم دمجها في التصميم بطريقة ملائمة.
2	– مسجد السيدة رقية	تم الانتهاء حديثاً من ترميمه	تم مؤخراً ترميم وتوسعة هذا المسجد بطريقة جيدة، ولكن التوسعة شملت إنشاء مبنى حديث في فناء المسجد أدت إلى حجب جزء من البناء الأثري للمسجد، وتغيير في تكوينه وشكله الخارجي.
3	– جامع بن عثمان – جامع علي بن مروان	جيدة، ولكنها تحتاج إلى ترميم	مازالت هذه المساجد تحتفظ بطابعها وعناصرها التراثية دون وجود إضافات أو مباني حديثة تشوهها أو تخفي معالمها المعمارية والتاريخية بشكل كبير، ولكن لم يتم ترميمها بطريقة علمية منذ زمن طويل (أكثر من عشرين عاما)، وما تم إجراؤه هو فقط بعض أعمال الصيانة التي لا تتلاءم في معظمها مع طبيعة البناء الأثري الجميل لتلك المساجد.
4	– مسجد الشيخ زكريا	لم يتبق منه إلا جزء يسير، ويحتاج إلى ترميم	اندثر بناء هذا المسجد قبل عشرات السنين ولم يتبق منه سوى مئذنته التي ما زالت تحتفظ بطابعها وعناصرها المعمارية. ولكنها تعاني من الإهمال الشديد، وكثير من التصدعات نتيجة لعدم ترميمها وصيانتها منذ فترة طويلة، بالإضافة إلى اختفائها خلف بعض المباني المجاورة التي بنيت حديثا.
5	– مسجد قشقار – مسجد علي العجمي – مسجد محمد المغربي – مسجد المحكمة – مسجد القزدمري – مسجد الشيخ خالد	تعاني من اختفاء وطمس لسماتها التراثية، وتحتاج لترميم	تحتفظ هذه المساجد بجزء كبير من مبانيها وعناصرها الأثرية، إلا أنها تعاني من ضياع لهويتها وسماتها التراثية نتيجة لاختفائها خلف أو تحت بعض المباني والإضافات الحديثة التي أُلحقت بها بغرض توسعتها، بالإضافة إلى استخدام طرق ومواد بناء غير ملائمة لصيانتها أدت في معظم الأحيان إلى الإمعان في طمس طابعها التاريخي وهويتها المعمارية.

المصدر: *الباحث*

3.3 المشاكل التي تعاني منها مباني المساجد الأثرية

نظرا للعمر الزمني الطويل لمباني المساجد الأثرية، تتعرض حجارتها وعناصرها المختلفة للتآكل بسبب العوامل الجوية والاستخدام المستمر. وإلى جانب ذلك، يتطلب الأمر في كثير من الأحوال إجراء أعمال توسعة لتلك المساجد، وضم مساحات جديدة لها للاستجابة للزيادة المطردة في أعداد المصلين المترددين عليها. وعليه، يسعى القائمون على تلك المساجد للعمل على ترميمها أو توسعتها، وذلك من خلال اللجان المشرفة على المسجد من أهالي المنطقة وبالتعاون مع وزارة الأوقاف والشئون الدينية. ونظراً لقلة التمويل المتوفر لهذا الغرض، وعدم وجود خطة شاملة للحفاظ عليها ضمن النسيج العمراني للمدينة، تُهمل بعض المساجد عمرانياً، وتُترك بدون ترميم وصيانة، باستثناء الأعمال الضرورية جداً، لفترة طويلة من الزمن، وهو ما يزيد من المشكلة. وفي حال توفر التمويل، والذي غالباً ما يكون من متبرعين، سواء أشخاص أو مؤسسات محلية أو خارجية، يتم العمل على إجراء بعض أعمال الترميم والتوسعة. ولكن في ظل ضعف، وأحياناً غياب الإشراف الهندسي والتقني المختص، تحدث كثير من المشاكل والتجاوزات التي قد تُسئ لمباني المساجد الأثرية، وتسبب لها مزيد من التدهور.

ومن خلال المسح الميداني والمعاينة البصرية، تم الوقوف على بعض المشاكل التي تعاني منها مباني المساجد الأثرية، والتي تم تصنيفها إلى نوعين، الأول يتعلق بالإهمال وما ينتج عنه من تردي وتدهور لمباني المساجد على الصعيد المعماري والعمراني، والثاني يتعلق بأعمال الصيانة والتوسعة التي تُجرى للحفاظ عليها وزيادة مساحاتها، والممارسات الخاطئة التي تحدث في هذا السياق وتكون نتائجها ، في كثير من الأحيان، سلبية. ويمكن إجمال تلك المشاكل بالتالي:

1.3.3 الإهمال

يعتبر الإهمال من أشد الأخطار التي تعاني منها المساجد الأثرية في غزة، وهو خطر ناتج عن السلبية في التعامل مع المساجد، وتركها بدون ترميم أو صيانة لفترة طويلة من الزمن. ويرجع السبب الرئيسي لهذا الإهمال في معظم الحالات، إن لم يكن جميعها، إلى النقص في التمويل اللازم لأعمال الصيانة والترميم في ظل قلة الوعي بأهمية هذه المساجد وقيمتها الحضارية والدينية. وقد تبين من خلال المسح الميداني والزيارات لتلك المساجد، أنه حتى في حال توفر بعض التمويل لدى الجهات المسئولة عن المساجد تكون الأولوية، في معظم الحالات، لبناء مبنى جديد بجوار المبنى الأثري للتوسعة، مع إغفال المبنى الأثري، كما هو الحال في مسجد المحكمة ومسجد القزدمري، أو في أحسن الأحوال تخصيص جزء يسير من التمويل لإجراء بعض أعمال الصيانة للمبنى الأثري، كما حدث عند توسعة مسجد الشيخ خالد.

وقد يؤدي قلة الوعي بأهمية المساجد الأثرية، في بعض الحالات، إلى هدم المسجد الأثري بالكلية لإنشاء مبنى حديث للمسجد توفيراً لأموال ترميم المسجد الأثري، واستغلالاً لمساحة الأرض بالكامل، من وجهة نظر البعض، كما حدث عند توسعة مسجد السيد علي بحي الشجاعية، حيث تم هدم المسجد بالكامل وإنشاء مبنى حديث مكانه.

وينتج عن الإهمال أخطار كثيرة يمكن إيجازها في التالي:

1- تآكل حجارة المبنى الأثري

نتيجة للعوامل الجوية والاستخدام المستمر للمسجد تتعرض حجارته للتآكل والاهتراء، خاصةً وأن جميع تلك المساجد مبني من الحجر الرملي، والذي يعتبر قليل الصلابة. ومع مرور الزمن تضعف كذلك المونة الرابطة بين الحجارة، مما يعرض المسجد للانهيار، علاوةً على تشويه المنظر الجمالي للمسجد. ومثال على ذلك، مئذنة مسجد الشيخ زكريا، والتي يبدو عليها آثار التآكل والاهتراء نتيجة لعدم صيانتها وترميمها منذ فترة طويلة من الزمن، وهو ما يهدد بانهيارها (شكل 16).

شكل 16: *تآكل حجارة مئذنة مسجد الشيخ زكريا*

2- الشروخ والتصدعات

ينتج عن تآكل المونة الرابطة بين الحجارة الأثرية وتآكل الحجارة نفسها، ظهور بعض التشققات والشروخ في جدران وأسقف تلك المساجد، والتي تتسع تدريجياً وتسبب تصدعاً في هيكل المبنى، وهو ما يهدد بانهيارها في حال لم يتم معالجتها وصيانتها بطريقة سليمة، علماً بأن التشققات قد تحدث أيضاً بسبب هبوط مفاجئ أو تدريجي في التربة نتيجة مثلاً لبناء مباني مرتفعة حديثة مجاورة للبناء الأثري (شكل 17).

شكل 17: *ظهور بعض التشققات في الجزء السفلي من مئذنة الجامع العمري التي لم يتم ترميمها*

3- التشوه البصري

يؤدي الإهمال وقلة الصيانة إلى حدوث تشوه بصري للمسجد نتيجة لتآكل حجارته وانهيار بعضها، وكذلك نمو النباتات والفطريات على حجارته الأثرية وتحولها إلى اللون الأسود. إلى جانب التدخلات البشرية التي تسئ لتلك المباني مثل الكتابة أو وضع الملصقات على جدرانها، بالإضافة إلى رمي القمامة بجانبها. ومثال على ذلك الجدار الشمال لمسجد المحكمة، والذي يعاني من تشوه نتيجة لبعض للممارسات الخاطئة (شكل 18).

شكل 18: *التشوه البصري للجدار الشمالي لمسجد المحكم*

4- غياب الرمزية العمرانية للمساجد

يؤدي غياب خطة تنظيمية للحفاظ على المساجد الأثرية من ناحية عمرانية إلى اختفاء مباني المساجد الأثرية خلف العمارات والمباني السكنية العالية التي تبنى مجاورة، وأحيانا ملاصقة، لها دون مراعاة لخصوصية تلك المباني، والحاجة لظهورها معمارياً وتخطيطياً ضمن النسيج الحضري للأحياء. وينتج عن ذلك طمس للشكل المعماري للمسجد وما يمثله من رمزية دينية وتاريخية للسكان في غزة، علاوةً على ما قد تسببه تلك المباني العالية والمجاورة من هبوط في التربة يؤدي إلى إحداث تشققات وشروخ في هيكل المبنى الأثري. وتبدو هذه المشكل واضحة جلية في حالة مئذنة مسجد الشيخ زكريا، وكذلك مسجد الشيخ خالد (شكل 19)، ومسجد العجمي بدرجات متفاوتة.

شكل 19: *غياب الرمزية العمرانية لمسجد الشيخ خالد*

2.3.3 التدخلات الخاطئة

وهي تمثل النوع الثاني من المشاكل التي تتعرض لها المساجد الأثرية في مدينة غزة. وقد تم بناءً على المسح الميداني تصنيف تلك التدخلات الخاطئة، وما ينتج عنها من آثار سلبية إلى نوعين كالتالي:

أولاً: استخدام مواد وطرق إنشاء غير مناسبة

يستخدم لصيانة وترميم المساجد الأثرية في مدينة غزة، في كثير من الحالات، أساليب ومواد بناء لا تتناسب مع طبيعة البناء الأثري، مما ينتج عنها حدوث مشاكل فنية أخرى، علاوةً على ما قد تسببه من تشوه بصري لتلك المساجد. وتتنوع تلك الممارسات من حيث تأثيرها، حيث أن بعضها له تأثيرات سلبية على المبنى الأثري من ناحية فنية وجمالية، فيما يؤدي استخدام بعضها الآخر إلى حدوث بعض التشوه المعماري والبصري، دون التأثير على الهيكل الإنشائي للمباني الأثرية. ومن أمثلة هذا النوع من الممارسات ما يلي:

1- استخدام قصارة أسمنتية لتكسية الجدران والأسقف

يبدو ذلك واضحاً في جميع المساجد الأثرية بغزة، ما عدا تلك التي تم ترميمها بطريقة ملائمة، حيث يتم استخدام القصارة الأسمنتية لكسوة الحجر الرملي الذي يُشكل مادة البناء الأساسية لتلك المساجد. ويحدث ذلك من القائمين على أعمال الصيانة والترميم بغرض تجميلها (من وجهة نظرهم) ووقف تآكل الحجر الرملي في الجدران والأسقف، متجاهلين تأثيرات القصارة الأسمنتية السلبية، والتي تتمثل في حجز الرطوبة داخل الحجر الرملي، ومنع تهويته نتيجة لقلة مساميتها، وهو ما يؤدي إلى تآكل وتفتت الحجر، علاوةً على إخفائها للطابع التراثي للبناء (شكل 20). وتزداد المشكلة حدة في معظم الحالات بطلاء تلك القصارة بدهان بلاستيكي يؤدي إلى زيادة مشكلة حجز الرطوبة، والتي تبدأ آثارها السلبية بالظهور بعد عدة أشهر فقط مسببة إزالة للدهان، وتآكل تدريجي للقصارة والحجر الرملي. وينتج عن ذلك تشوه للمظهر الداخلي للمسجد وإزعاج للمصلين بسبب ما يتساقط من أجزاء الدهان والقصارة على أرضيات المسجد المخصصة للصلاة.

شكل 20: *استخدام القصارة الأسمنتية والدهان البلاستيكي في مسجد بن عثمان*

2- استخدام بلاط السيراميك المزجج لتكسية الجدران الداخلية

يؤدي استخدام هذا النوع من البلاط، المخصص عادةً للاماكن الرطبة كالحمامات والمطابخ، في تكسية الجدران الداخلية للمساجد الأثرية باستخدام الاسمنت إلى منع تهوية الحجارة الأثرية لانعدام مساميته، وبالتالي تراكم الرطوبة بالجدران. ويسبب ذلك تفتت للحجارة الرملية وتآكلها تدريجياً، وبالتالي عدم تماسك ذلك البلاط بها وتساقطه بعد فترة قصيرة من الزمن. وينتج عن ذلك أيضاً تشويه للفراغ الداخلي للمسجد وإخفاء لسماته التراثية، بسبب الاختلاف الواضح في اللون والملمس وطريقة البناء بين الحجر الأثري الطبيعي وبلاط السيراميك المزجج (شكل 21).

شكل 21: *استخدام بلاط السيراميك في تكسية جدران مسجد علي بن مروان*

3- استخدام عناصر مكملة بطريقة غير ملائمة

يستخدم في معظم المساجد الأثرية عناصر مكملة بطريقة غير ملائمة تؤدي غالباً إلى تشويه لفراغاتها الداخلية دون التأثير بشكل كبير على هيكلها الأثري، ومن أمثلة ذلك استخدام وحدات الإضاءة الخارجية والمراوح وأجهزة التكييف. ويتم اللجوء لذلك نظراً لان المساجد الأثرية، والتي لا يقل عمر أحدثها عن حوالي 150 سنة مثل مسجد محمد المغربي ومسجد علي العجمي ومسجد المحكمة وغيرها ، لم تكن مجهزة عند إنشائها بتلك الوحدات التي لم تكن أصلاً. ونتيجة للحاجة الملحة لهذه الإضافات في الوقت الحاضر، وخاصة وحدات الإضاءة والتهوية، يتم عادةً تركيب وحدات حديثة خارجية لا تتناسب في شكلها وطريقة تثبيتها مع طبيعة التصميم والبناء الأثري للمساجد. وينتج عن ذلك حدوث تشوه بصري للفراغ الداخلي للمساجد، بالإضافة إلى ما قد تسببه تلك الإضافات من مشاكل إنشائية وفنية في حال تم الهدم أو النقب في الجدران والأسقف لتركيبها، أو عمل تمديدات مخفية لها دون مراعاة للطرق العلمية السليمة بهذا الخصوص (شكل 22).

شكل 22: *استخدام وحدات كهربائية خارجية في مسجد محمد المغربي*

ثانياً: الإضافات الحديثة

يلاحظ في معظم المساجد الأثرية وجود إضافات حديثة للتوسعة، إلى جانب المبنى الأثري، يعود تاريخ بناء معظمها إلى النصف الثاني من القرن العشرين. ويلجأ القائمون على تلك المساجد لتوسعتها من خلال بناء مباني جديدة ملحقة بها بسبب الزيادة المطردة في عدد المصلين المترددين عليها، كنتيجة طبيعية لزيادة عدد السكان، والتي تتطلب في كثير من الأحيان، بالإضافة إلى ذلك، إنشاء مساجد حديثة مجاورة. وقد لوحظ أن معظم تلك الإضافات التوسعية تؤدي إلى إحداث تأثيرات سلبية على البناء الأثري للمسجد، سواءً من ناحية جمالية أو وظيفية أو إنشائية. ومن أمثلة تلك الإضافات، بناء مبنى جديد إلى جانب المبنى الأثري، غالباً ما يكون في فناء المسجد، والذي يعتبره البعض مساحة فارغة يمكن استغلالها بالبناء فيها لزيادة مساحة المسجد الأرضية، بالإضافة إلى إمكانية الارتفاع بالمبنى رأسياً وعمل طوابق متكررة ليتم الاستفادة منها في أغراض أخرى.

ورغم النية الحسنة لأصحاب هذا التوجه، إلا أن آثاره السلبية على مباني المساجد الأثرية كبيرة، وقد تكون خطيرة في بعض الحالات. ويبدو ذلك واضحاً في مساجد مثل مسجد الشيخ خالد، ومسجد المحكمة، ومسجد قشقار، ومسجد محمد المغربي (شكل 23)، ومسجد القزدمري، وذلك بدرجات متفاوتة. وتم الاكتفاء في بعض المساجد الأخرى مثل مسجد علي العجمي بتغطية الفناء الخارجي بسقف من الحديد وألواح الزينكو لزيادة المساحة الداخلية المغطاة (شكل 24).

شكل 23: *التوسعة الملحق بمسجد الشيخ محمد المغربي من الجهة الشمالية*

شكل 24: *تغطية فناء مسجد علي العجمي بألواح الزينكو*

وتؤدي هذه الإضافات (رغم محاسنها) إلى حجب البناء الأثري للمسجد عن الأنظار، وفقد لسماته التراثية والحضارية، وبالتالي طمس لرمزيته التاريخية ولقيمته المعمارية التي تختفي وراء جدران وأسقف جرداء لا تمت إلى التراث بصلة، ولا تعكس في شكلها الخارجي أي إشارة لوجود مسجد اثري خلفها. ويفقد كذلك المسجد لعنصر مهم جداً من عناصره المعمارية وهو الفناء والساحات الخارجية المكشوفة المحيطة بقاعة الصلاة، والتي تُستغل عادةً لعمل تلك التوسعات الحديثة. وكنتيجة لذلك تتأثر الوظيفة الداخلية للمسجد، نظراً للاعتماد، غالباً، على الفناء في توفير الإضاءة والتهوية لفراغات المسجد الداخلية، وخاصةً قاعة الصلاة، بالإضافة لكونه متنفساً للمصلين وساحةً للتجمع والصلاة في الهواء الطلق في أيام الصيف الحارة. وتتطلب تلك الإضافات، في معظم الحالات، تغيير لمداخل المسجد، وإضافة أعمدة خرسانية جديدة وأدراج للطوابق العلوية تكون ذات مداخل في بعض الحالات من قاعة الصلاة، وهو ما يؤثر سلباً على الحركة والوظيفة الداخلية للمسجد.

ويحدث كذلك أن تتطلب تلك الإضافات إجراء بعض التعديلات على المبنى الأثري، وهدم لبعض جدرانه لفتح أبواب جديدة مثل ما حدث في جامع القزدمري عند إجراء التوسعة الأخيرة في الجهة الشرقية، وما تطلبه ذلك من هدم لبعض أجزاء من جدران القبلة لفتح أبواب تطل على تلك التوسعة (شكل 25).

شكل 25: *التوسعة الملحقة بمسجد القزدمري من الجهة الشرقية*

المصدر: *الأشكال (من 16 إلى 25) الباحث*

وقد ويؤدي ذلك إلى إحداث مخاطر إنشائية على المبنى الأثري، إن لم يكن الأمر مدروساً بشكل هندسي سليم، علاوةً على ما قد تسببه تلك الإضافات من هبوط للتربة تكون نتيجته حدوث تشققات وتصدعات في المبنى الأثري.

0.4 الحالات الدراسية

يستعرض الجزء التالي بالدراسة والتحليل لواقع اثنان من المساجد الأثرية التي تعاني من بعض الأخطار التي تم الإشارة لها سابقاً، وهما مسجد الشيخ زكريا ومسجد الشيخ خالد. وقد تم اختيار هذان المسجدان كحالتين دراسيتين تمثلان واقع المساجد الأثرية في مدينة غزة، وخاصةً فيما يتعلق بالمشاكل التي تتعرض لها، حيث يعاني احدهما من الإهمال فيما يعاني الآخر من غياب لرمزيته التاريخية والمعمارية بسبب ما طرأ عليه مؤخراً من إضافات حديثة. ويهدف ذلك إلى تسليط الضوء على ما يعانيه كل منهما من أخطار، رغم أهميتهما التاريخية والمعمارية، وذلك كخطوة أولى للعمل على وقف تلك الأخطار، وما ينتج عنها من آثار سلبية.

1.4 مسجد الشيخ زكريا

يقع هذا المسجد في الجهة الشمالية الغربية من البلدة القديمة بمدينة غزة، حيث يطل على شارع الوحدة من جهته الشمالية الشرقية في مقابل مسجد الشيخ خالد. ويعود تاريخ إنشاؤه، على أغلب تقدير، كما أشار المبيض (1995) [1]،

إلى منتصف القرن الثامن الهجري، وسمى بهذا الاسم نسبة إلى الشيخ زكريا التدمري المتوفى سنة 749 هجري، والذي كان له ضريح في المسجد قبل هدمه.

ويصف أبو هاشم (1999) [3]، نقلاً عن الشيخ عثمان الطباع في كتابة إتحاف الأعزة، بناء مسجد الشيخ زكريا القديم بأنه كان متسعاً، وله إيوان مغطى بقباب ترتكز على أعمدة بوسطه، وبه منبر ومحراب، وله منارة غليظة مثل منارة مسجد بن مروان بحي الشجاعية، وكان بناؤه متين ومتقن الصنعة. وهذا ما أكدته بعض الصور التي وثقها المبيض (1995) [1]، والتي تُظهر قباب المسجد النصف دائرية التي كانت تشكل سقف الجزء المغطى منه (شكل 26).

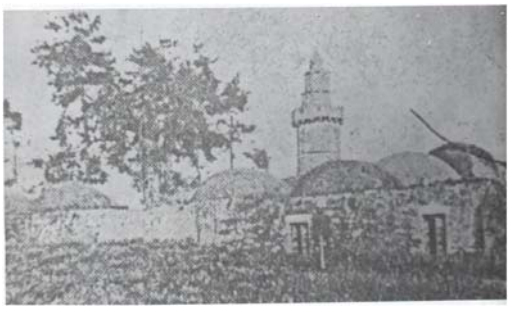

شكل 26: *مسجد الشيخ زكريا قبل الهدم*
المصدر: [1]

وظل البناء الأثري للمسجد قائماً حتى الأربعينات من القرن العشرين [1]، قبل أن يتم هدمه بالكامل ليتم لاحقاً إنشاء مبنى حديث مكانه. ولم يتبق من بناء المسجد الأثري سوى مئذنته، والتي ما زالت شاهدة عليه وعلى ما تتعرض له المساجد الأثرية من إهمال وتعديات.

ومن خلال زيارة وتحليل واقع المسجد الحالي لوحظ التالي:

- تم هدم البناء الأثري للمسجد بالكامل (ما عدا المئذنة) بحيث لم يعد له أثر يذكر.
- لم يراع في تصميم المبنى الحديث للمسجد الطراز المعماري أو الخصوصية التاريخية والأثرية للبناء الأصلي.
- عدم أخذ المئذنة الأثرية في الاعتبار في تصميم المبنى الحديث، سواء في توزيع الفراغات الداخلية أو التشكيل الخارجي للبناء.

1.4 مئذنة المسجد

تمثل المئذنة الجزء الوحيد المتبقي من بناء المسجد، وهي ذات قيمة تاريخية ومعمارية كبيرة نظراً لعمرها لزمني الطويل، وتصميمها المعماري المتميز. وهي عموماً قصيرة نسبياً في ارتفاعها الذي يقدر بحوالي عشرة أمتار، وتتكون من قاعدة مربعة يعلوها بدن ثماني الشكل يعلوه شرفة للمؤذن، تمتد بعدها المئذنة لأعلى على مستويين بشكل متدرج بنفس الشكل الثماني، ولكن بقطر أقل في كل مستوى، إلى أن تنتهي بقبة صغيرة نصف دائرية. وهي مبنية من الحجر الرملي، بالإضافة إلى وجود بعض الحجارة الكلسية الصلبة ذات اللون السكري، والتي تشكل أحزمة لربط وتثبيت المئذنة في أسفل ووسط وأعلي البدن الثماني للمئذنة (شكل 27).

شكل 27: *مئذنة مسجد الشيخ زكريا*

ومن خلال دراسة واقع المئذنة فقد لوحظ التالي:

- على الرغم من أهميتها، إلا أنها تعاني من إهمال شديد، وتردي في وضعها الإنشائي، حيث تعاني الكثير من حجارتها من التآكل والتفتت نتيجة العوامل البيئية.
- انهيار بعض أجزائها، خاصة أعلى الشرفة، نتيجةً (كما يبدو) للأعمال التي صاحبت بناء المبنى المجاور.
- ظهور بعض الشقوق والشروخ العميقة في بدنها نتيجة لعدم صيانتها منذ فترة طويلة، وبسبب تأثير المبني الحديث الملاصق لها، وهو ما ينذر بانهيارها إن لم تتخذ إجراءات سريعة لحمايتها.
- عدم الأخذ بالاعتبار، في تنظيم المنطقة العمرانية المجاورة، الخصوصية التاريخية والمعمارية للمئذنة، والحاجة إلى ظهورها كأحد الرموز المعمارية المميزة للمسجد. ويبدو ذلك واضحاً من قُرب المبنى المجاور، والذي بُني ملاصقاً لها تماماً من الجهة الشرقية، وهو ما أدى إلى اختفاء جزء كبير منها، ولما تمثله من قيمة حضارية، علاوةً على زيادة الأخطار الإنشائية التي تتعرض لها، بالإضافة إلى تغطية بعض جوانبها مما يحد من إمكانية ترميمها مستقبلاً.

2.4 مسجد الشيخ خالد

يقع هذا المسجد في حي الدرج في الجزء الشمالي الغربي من البلدة القديمة لمدينة غزة، حيث يقع على تقاطع كل من شارع الوحدة من جهة الجنوب الغربي وامتداد شارع الفواخير من الجهة الجنوبية الشرقية، وهو يقابل مسجد الشيخ خالد سابق الذكر. ويعود تاريخ بناء المسجد إلى العصر المملوكي منتصف القرن الثامن الهجري، وقد سمي بهذا الاسم، حسب ما أشار المبيض (1995)، [1]، نسبة إلى خالد بن شبيب، والذي توفي سنة 749 هجري. تبلغ مساحة الجزء الأثري المتبقي من المسجد حوالي 150 متر مربع، ويتكون من صالة مغلقة للصلاة مربعة الشكل يعلوها أربع قباب نصف دائرية تحملها عقود مدببة ترتكز في وسط القاعة على عمود حجري مربع الشكل (شكل 28). وتتميز القبتان اللتان تعلوان رواق القبلة بأن كلاً منهما ترتفع على قاعدة ثمانية الشكل بارتفاع حوالي120 سم، يوجد بكل جهة من جهاتها فتحة لإدخال الإضاءة والتهوية للفراغ السفلي (شكل 29). وإلى الجنوب الشرقي من هذه الصالة يوجد رواق صغير يبدو أنه الوحيد المتبقي من صالة أخرى للصلاة كانت مجاورة للصالة الرئيسية، وتتكون، حسب مخطط قديم للمسجد [1] من ثلاث أروقة متعامدة على اتجاه القبلة. ويعلو هذا الجزء المتبقي من الصالة المندثرة قبتان صغيرتان ترتكزان على عقود مخموسة تحملها ثلاث أعمدة رخامية لها تيجان مزخرفة. وفي الجزء الشمالي الغربي من هذا البناء كان يوجد فناء مفتوح به ضريح لأحد الولاة قبل أن يُزال الضريح ويتم إنشاء بناء حديث في الفناء.

شكل 27: *مسجد الشيخ خالد من الداخل*

شكل 28: *قباب مسجد الشيخ خالد من أعلى*

1.2.4 تطور بناء المسجد

تعرض هذا المسجد لكثير من الإهمال، وكان عرضة للهدم والاندثار أواخر القرن العشرين، كما وثق ذلك المبيض (1995)، [1]، في صورة تُظهر مدى تردي وضعه المعماري والإنشائي، وتعرض بعض أجزائه للانهيار (شكل

30). وفي فترة لاحقة أواخر القرن العشرين، تم ترميمه وإعادة استخدامه للصلاة مع الحفاظ على مبناه الأثري، والاكتفاء فقط بإضافة بعض الخدمات مثل المتوضأ لتلبية احتياجات المصلين. وظل الحال كذلك حتى أواخر عام 2011 م حين بدأت أعمال التوسعة الأخيرة، والتي شملت بناء مبنى حديث بارتفاع طابقين في فناء المسجد وما تبقى من مساحة فارغة بمحاذاة شارع الوحدة إلى الجنوب الغربي من المسجد، بالإضافة إلى صيانة ما تبقى من مبناه الأثري.

شكل 29: مسجد *الشيخ خالد قبل الترميم اواخر القرن العشرين* المصدر: [1]

2.2.4 تقييم التوسعة

بالنظر إلى التوسعة الجديدة (شكل 31)، يُلاحظ أن لها بعض الايجابيات، والتي من أهمها زيادة المساحة المخصصة للصلاة، وتوفير بعض الخدمات الإضافية للمصلين، خاصةً في الطابق العلوي للبناء الجديد، علاوةً على ترميم وصيانة المبنى الأثري. ومع ذلك فقد أدت هذه التوسعة إلى بعض السلبيات، والتي يمكن إجمالها بالتالي:

- حجب البناء الأثري للمسجد عن الأنظار بمبنى حديث لا يمت للمبنى الأثري بصلة.
- طمس الطراز المعماري للمسجد الأثري، وما يمثله من رمزية دينية ومعمارية.
- غياب الرمزية العمرانية والمعمارية للمسجد ضمن النسيج الحضري للمنطقة المجاورة.
- اختفاء عنصر مهم من عناصر المسجد وهو الفناء، الذي يُشكل الصالة المفتوحة للصلاة ومصدراً للتهوية والإضاءة.
- حدوث تنافر وعدم انسجام ما بين المبنى الأثري والبناء الجديد، لعدم مراعاة الأخير للطراز والتشكيل المعماري للمبنى الأثري، سواء في التصميم أو مواد البناء المستخدمة.

شكل 31: مسجد *الشيخ خالد بعد التوسعة*

أما فيما يختص بترميم المبنى الأثري للمسجد من الداخل فقد لوحظ بعض السلبيات كالتالي:

- استخدام القصارة الأسمنتية في تغطية وتسوية سطح الحجر الطبيعي من الداخل، ومن ثم دهان تلك الأسطح بدهان بلاستيكي غير ملائم. وقد أدى ذلك إلى تراكم وحجز الرطوبة داخل الحجر، وبالتالي ظهور أثارها السلبية على شكل تقشر وتساقط للدهان وتفتت للقصارة (شكل 32).
- عمل تمديدات خارجية للكهرباء بشكل أدى إلى حدوث بعض التشوهات البصرية الداخلية.
- عدم مراعاة الفصل الإنشائي بين البناء الحديث والقديم كوسيلة لإظهار البناء الأثري، ولتجنب حدوث تشققات عند نقاط الاتصال نتيجة لحدوث تمدد أو هبوط لأحد أو كلا المبنيين، خاصة الحديث منهما (شكل 28).

شكل 32: *ترميم مسجد الشيخ خالد من الداخل*

المصدر: *الأشكال (من 27 إلى 32، باستثناء شكل 30) الباحث*

5. النتائج والتوصيات

تعتبر المساجد الأثرية من أهم الشواهد التاريخية والمعمارية على الحضارة الإسلامية في مدينة غزة، والتي امتدت منذ الفتح الإسلامي وحتى الوقت الحاضر. وهي تُمثل أهم ما تبقى من تراث معماري إسلامي، وذلك استناداً إلى أهميتها الدينية وتاريخها الطويل، بالاضافة إلى قيمتها المعمارية والفنية العالية. ورغم ذلك فهي تعاني من الكثير من المشاكل، والتي تم حصرها في هذا البحث في كل من الإهمال، والتدخلات الخاطئة للحفاظ عليها. وقد تبين بأن هذه المشاكل تُشكل خطورة ملموسة على تلك المساجد، وتزيد من الأضرار التي تتعرض لها، وهو ما يُنذر في بعض الحالات بفقدها كعناصر تراثية ذات قيمة كبيرة. وترجع أسباب معظم تلك المشاكل إلى قلة التمويل المتوفر للحفاظ عليها، بالاضافة إلى عدم مراعاة الاسس الفنية والتصميمية الملائمة عند إجراء ترميم أو توسعة لتلك المساجد. ورغم قيام الجهات المسئولة عن المساجد في غزة ببعض الجهد للحفاظ عليها، إلا أنه يبقى محدوداً مقارنةً بحجم ما تتعرض له من أخطار وما تتطلبه من تدخل. وعليه، فإن ذلك يستوجب ضرورة رصد الميزانيات اللازمة لترميمها على أُسس علمية وفنية صحيحة، ومنع التدخلات الخاطئة التي تؤثر سلباً عليها. **وفيما يلي اجمال لأهم النتائج التي تم التوصل لها من خلال البحث:**

- بناءً على التعريف الذي وضعه الباحث للمسجد الأثري، يبلغ عدد المساجد الاثرية في مدينة غزة 13 مسجداً، موزعةً على أحياء المدينة القديمة كالتالي: 5 في حي الدرج، 3 في حي الزيتون، 4 في حي الشجاعية وواحد في حي التفاح.
- تتفاوت المساجد الاثرية من حيث حالتها المعمارية والانشائية ما بين ممتازة تم ترميمها مؤخراً، إلى متدهورة جداً نظراً لعدم ترميمها أو صيانتها منذ زمن طويل.
- يُشكل الإهمال الناتج عن السلبية في التعامل مع المساجد الاثرية أحد أهم الأخطار التي تتعرض لها تلك المساجد. وينتج عن الاهمال آثار سلبية مثل تآكل الحجارة الاثرية، شروخ وتصدعات بهيكل المبنى، حدوث تشوه بصري للمساجد، وغياب لرمزيتها المعمارية والتاريخية.
- تتعرض المساجد الاثرية لأخطار كبيرة نتيجة التدخلات الخاطئة للحفاظ عليها. وتنقسم تلك التدخلات وما ينتج عنها من آثار سلبية إلى نوعين: الأول يتعلق باستخدام مواد بناء وأساليب انشاء غير ملائمة، فيما يتعلق الثاني بإضافة مباني حديثة ملحقة بالمساجد الأثرية دون مراعاة لخصوصيتها التاريخية والمعمارية.
- تعاني مئذنة مسجد الشيخ زكريا من تدهور كبير في حالتها المعمارية والانشائية، وهو ما ينذر بانهيارها إن لم تُتخذ إجراءات عاجلة لتدعيمها والحفاظ عليها.
- أدت التوسعة الحديثة لمسجد الشيخ خالد إلى طمس الطابع والسمات التراثية للمسجد الاثري، وإخفاء لرمزيته المعمارية والتاريخية عن الأنظار.

وبناء عليه توصي الدراسة بالتالي:

- وضع خطة شاملة تشارك فيها جميع الهيئات ذات العلاقة للحفاظ على المساجد الأثرية ووقف ما تتعرض له من أضرار.

- تطوير معايير تخطيطية ومعمارية وفنية لعملية الحفاظ على المساجد الأثرية، بما في ذلك إرشادات فنية لترميمها وصيانتها.
- تكثيف الرقابة والإشراف، من قبل الجهات المعنية، على عمليات التدخل التي يقوم بها القائمون على المساجد الأثرية بغرض ترميمها.
- العمل على توفير الدعم المالي اللازم للحفاظ على المساجد الأثرية وترميمها وصيانتها بشكل دوري.
- تدريب كوادر فنية من مهندسين وفنيين وعمال لإجراء عمليات الحفاظ على المساجد الأثرية بكفاءة عالية حسب الأسس العلمية الصحيحة.

المراجع:

[1] المبيض، سليم عرفات، **البنايات الأثرية الإسلامية في غزة وقطاعها**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، (1995).

[2] شحاده، زياد، **أثر التصميم العمراني على تفعيل دور المساجد في قطاع غزة باستخدام نظم المعلومات الجغرافية.** بحث ماجستير غير منشور، الجامعة الإسلامية–غزة، فلسطين (2010) ص:10.

[3] أبو هاشم، عبد اللطيف، **المساجد الأثرية في مدينة غزة**، مطابع منصور، غزة، فلسطين (1995).

[4] الطباع، عثمان، **إتحاف الأعزة في تاريخ غزة**، تحقيق: عبد اللطيف أبو هاشم، مكتبة اليازجي، غزة، فلسطين (1999).

[5] محيسن، احمد، **واقع البيوت الأثرية في مدينة غزة وسبل الحفاظ عليها**، *مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الطبيعية والهندسية)*، *17 (1)* (2009) 109–132.

[6] المبيض، سليم، **غزة وقطاعها**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، (1995).

[7] Muhaisen, A., **Restoration Works to Preserve the Historic Houses in the Old City of Gaza**. *The 1st Conference on the Palestinian Heritage 15-16 March 2012*, Rene Elter, Riveneuve Editions-Paris (France), ISBN: 978-2-36013-177-8 (2014).

[8] **المخطط التفصيلي لمدينة غزة:** بلدية غزة، فلسطين (2000).

[9] محيسن، أحمد؛ الحتة، دعاء، **دراسة لواقع التأهيل الفني للعاملين في مجال الحفاظ المعماري في قطاع غزة.** مؤتمر التراث المعماري: الواقع وتحديات الحفاظ، مركز عمارة التراث الجامعة الإسلامية بغزة (2008).

مراجع ذات صلة:

– عبد الله، إبراهيم، **ترميم وصيانة المباني الأثرية**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر (2012).

– عطية، أحمد، **دراسات علمية في ترميم المباني والمقتنيات الأثرية**، الدار العالمية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر (2006).

– المالكي، قبيلة، **التراث العمراني و المعماري في الوطن العربي: الحفاظ، الصيانة، إعادة التأهيل**، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن (2004).